اليها وانما نوابه هم الذين اخذوا بلاد الاندلس له فقد يجتمع الواقف على هذا الكتاب
ان هذا متناقض العقد في هذا اني وجدته في ترجمة بن عباد على تلك الصورة ووجدته
في هذه الترجمة على هذه الصورة والله اعلم ثم رايت في كتاب تذكرة العاقل وتنبيه الغافل لابي
الحجاج يوسف البياسي ان ابن تاشفين لما جاز البحر قصد اشبيلية بقضه وقضيضه قاصدا
بطليوس وجرت الواقعة المذكورة ثم عاد بن تاشفين الى بلاده وان ابن عباد جاز البحر مستصرخا
اليه في سنة احدى وثمانين واستنجده على ما يجاوره من بلاد العدو فاكرمه ابن تاشفين ووعده
الى انجاده ثم عاد ابن عباد الى بلاده واستعد للعدو ولحقه بن تاشفين في رجب من سنة اثنتين
وثمانين ثم خرج الادفونش في جيش كثيف وكانوا ملوك الاندلس قد اجتمعوا على بن تاشفين
فلما راى ما فعل من الاستعداد بالجمع الكثير رحل عن مكانه واوهم خواص ان ملوك الاندلس
يعرفون عنه ويحيلون بينه وبين الادفونش فاصغى الى كلامهم وعمل في نفسه تقولهم فاخفى
الحركة الى البرية وتحرك الجميع بحركته وجاز البحر عائدا الى بلاده وقد وغر صدره على ملوك الاندلس
وعزم على تغييره عليهم وخافوه فشرعوا في تحصين بلادهم وتحصين الاقوات وراسل بعضهم الادفونش
بالمعاونة والمساعدة وكان قد سير له هدايا والطافا كثيرة فقبلها منه وحلف له على جميع
ما التمس منه واتصل ذلك بابن تاشفين فاغتاظ غيظا ثم ان بن تاشفين جاز البحر الثالثة وقصد
قرطبة وهي لابن عباد فوصل اليها في جمادى الاولى سنة ثلث وثمانين وقد سبقه اليها ابن عباد
فخرج اليه بالضيافة وجرى معه على عادته ثم ان ابن تاشفين اخذ غرناطة من صاحبها
عبد الله بن بلجين بن باديس بن حبوس وحبسه فطمع بن عباد في غرناطة فان ابن تاشفين
يعطيه اياها فعرض له بذلك فاعرض عنه ابن تاشفين وخاف بن عباد منه وعزم على الخروج
منه فقال له انه جاءته كتب من اشبيلية وهم خائفون من العدو المجاور لهم واستاذنه
في العود اليها فاذن له فعاد ثم رجع بن تاشفين الى بلاده وجاز البحر في شهر رمضان من سنة
ثلث وثمانين واقام ببلاده الى ان دخلت سنة اربع وثمانين ثم عزم الى العود على الاندلس لمنازلة بن
عباد وبلغ ذلك ابن عباد فاخذ له في التاهب والاستعداد ووصل بن تاشفين الى سبتة وجمع العساكر
الكثيرة وقدم عليهم سير بن ابي بكر فجازوا البحر وضايقوا بلاد بن عباد فاستصرخ بالادفونش
فلم يلتفت اليه وكان ما ذكرته والله اعلم وفي هذه الترجمة ذكر الملثمين فيحتاج الى الكلام
عليه والذي وجدته ان اصل هولاء القوم من حمير بن سبا وهم اصحاب خيل وابل وشاء ويسكنون
الصحاري الجنوبية وينتقلون من ماء الى ماء كالعرب وبيوتهم من الشعر والوبر واول من جمعهم و
حرضهم على القتال واطمعهم في تلك البلاد عبد الله بن تاشفين الفقيه وقتل في حرب جرت مع
ابن عواطه وقام مقامه ابو بكر بن عمر الصنهاجي الصحراوي المقدم ذكره ومات في حرب السودان
وقد ذكرنا حديث يوسف بن تاشفين وسبب تقدمه وهو الذي سمي امير المرابطين وهم قوم
يتلثمون ولا يكشفون وجوههم فلذلك سموهم الملثمين وذلك سنة لهم يتوارثونها خلفا عن
سلف وسبب ذلك على ما قيل ان حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد يفعله الخواص منهم فكثر ذلك
حتى صار يفعله عامتهم وقيل كان سببه ان قوما من اعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم اذا غابوا
عن بيوتهم فيطرقون الحي فياخذون المال والحريم واشار عليهم بعض مشايخهم ان يبعثوا النساء

في زي

في زي الرجال الى ناحية ويقعدوا هم في البيوت ملتثمين في زي النساء فاذا اتاهم العدو وظنوهم
النساء فيخرجون عليهم ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم فلزموا اللثام
تبركا بما حصل لهم من الظفر بالعدو وقال شيخنا الحافظ عز الدين بن الاثير في تاريخه
الكبير ما مثاله وقيل ان سبب اللثام لهم ان طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم
فخالفهم العدو الى بيوتهم ولم يكن بها الا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ
انه العدو امروا النساء ان يلبسن ثياب الرجال ويلتثمن ويضيقنه حتى لا يعرفن ويلبسن السلاح
ففعلن ذلك وتقدم المشايخ والصبيان امامهن واستدار النساء بالبيوت فلما اشرف
العدو راى جمعا عظيما فظنه رجالا وقالوا هولاء عند حريمهم يقاتلون عنهم قتال الموت والراي
ان نسوق النعم ونمضي فان اتبعونا قاتلناهم خارجا عن حريمهم فبينما هم في جمع النعم من المراعي
اقبل رجال الحي فبقي العدو بينهم وبين النساء فقتلوا من العدو واكثروا وكان من قتل من النساء
اكثر فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه فلا يعرف الشيخ من الشاب ولا يزيلونه ليلا ولا
نهارا ومما قيل في اللثام

قوم لهم درك العلا في حمير … وان انتموا صنهاجة فهم هم
لما حووا احراز كل فضيلة … غلب الحيا عليهم فتلثموا

وكان يوسف بن تاشفين مقدما لابي بكر عمر الصنهاجي وخرج من سجلماسة في سنة اربع و
خمسين واربعمائة وكان ابو بكر عمر قد اتى سجلماسة في سنة ثلث وخمسين وحاصرها وقاتل اهلها
اشد قتال واخذها ثم رتب عليها يوسف بن تاشفين وكان ما كان والله اعلم **ابو يعقوب**
يوسف بن ابي محمد عبد المومن بن علي القيسي الكومي صاحب المغرب قد تقدم ذكر ابيه عبد
المومن في حرف العين وذكر ولده يعقوب قبل هذا ولما توفي والده في التاريخ المذكور في ترجمته
وخلع محمد بن عبد المومن ونقش على الدنانير اسمه وكان ذلك باستخلاف ابيه وتخليفه الجند له
فظهر منه اشتغال بالراحة وانهماك في البطالة فخلعه يوسف وكان له اخ اسمه ابو حفص
عمر وولاه جزيرة الاندلس وكان يوسف المذكور فقيها حافظا متقنا لان اباه هذبه و
قرن به وباخوته اكمل رجال الحرب والمعارف فنشا في ظهور الخيل بين ابطال الفرسان
وفي قراءة العلم بين افاضل العلماء وكان ميله الى الحكمة والفلسفة اكثر من ميله الى
الادب وبقية العلوم وكان جماعا مناعا ضابطا لخراج مملكته عارفا بسياسة رعيته وكان
ربما يحضر حتى لا يكاد يغيب ويغيب حتى لا يكاد يحضر وله في غيبته نواب وخلفاء وحكام
قد فوض الامور اليهم لما علم من صلاحهم لذلك والدنانير اليوسفية المغربية منسوبة
اليه فلما تمهدت له الامور واستقرت قواعد مملكته دخل الى جزيرة الاندلس لكشف مصالح
دولته وتفقد احوالها وكان ذلك في سنة ست وستين وخمسمائة وفي صحبته مائة الف فارس
من المغرب والموحدين فنزل باشبيلية فخافه الامير ابو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد
بن محمد المعروف بابن مردنيش صاحب شرقي الاندلس مرسية وما انضاف اليها وحمل على قلبه
فعرض مرضا شديدا ويقال ان امه سقته السم لانه وكان قد اساء العشرة مع اهله وخواصه
وكبراء دولته فنصحته فاغلظت عليه بالقول فتهددها وخافت بطشه فعملت عليه وقتلته
بالسم وكان موته في التاسع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وخمسمائة باشبيلية وولده

يوسف ابن عبد المؤمن
صاحب المغرب
وتقدم ابوه

Copyright © King Saud University